

فتأخذ من القديم وتأخذ من الحديث على اختلاف في درجة الأخذ حسب الاختلاف في الانصاف والذوق، وهذا هو الذي كان في أدبنا العربي منذ بدأ العلماء والشعراء يتحدثون في تاريخه ونقده، فكان من الرواة واللغويين من ينظر إلى القديم بعين الاجلال والتقدير، يدافع عنه، ويناضل دونه، ويركب الشطط في الاحتجاج لما عساه يكون على غير المنهج منه، وفي الوقت ذاته يعرضون عن الجديد اعراضاً تاماً، حتى ليظهر أثر التشيع للقديم في كل أقوالهم، وفي سلوكهم عند المدارس أو الاختيار، وحتى ليركبون في ذلك ما لا يقره منطوق ولا عقل: سئل أبو عمرو بن العلاء عن الأخطال فقال: (لو أدرك يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً) وهذا كلام بالغ في الغرابة، بل مجاوز حد المعقول. ويرى الفرزدق وجريراً وأشباههما يحبرون القوافي، ويجيدون القول، فيعجبه شعرهم، ولكن تعصبه للقديم يحول بينه وبين الانصاف، فيقول (لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايتيه) ربما كان لهؤلاء الرواة بعض العذر في تفضيلهم القديم على المحدث (فمن الثابت لدى معظم النقاد أن خير أشعار الشعوب هو ما قالتها أيام بدواتها الأولى، وفي تاريخ الادب العربي ما يزيد من رجحان كفة قديم الشعر على حديثه، وهو صدور القديم عن طبع وحياة، وصدور أغلب الحديث عن تقليد وفن)(1)، ولكن هذا لا ينهض عذرا لهذا التعصب الزائد الذي لا يتورع معه صاحبه أن يتنكر لحسه وذوقه، روى الصولي في أخبار أبي تمام عن رجل اسمه أبو عمرو بن أبي الحسن الطوسي أنه قال: (وجه بي أبي إلى ابن الاعرابي لأقرأ عليه أشعارا، وكنت معجبا بشعر أبي تمام فقرأت عليه من أشعار هذيل، ثم قرأت أرجورة أبي تمام على أنها لبعض شعراء هذيل: وعاذل عدلته في عدله فظن أنى جاهل من جهله حتى أتممتها فقال: أكتب لي هذه، فكتبتها له، ثم قلت: أحسنه هي؟ قال: ما سمعت بأحسن منها، قلت انها لأبي تمام، فقال: خرق، خرق).

---

(1) النقد المنهجي عند العرب ص 13.